(قيم إنسانية – كرامة الإنسان)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 161-163].

الإنسان مخلوق مكرم (ولقد كرمنا بني آدم)، فطره الله على الكرامة وخَلَقَهُ منتصب القامة، يحب العزة ويباهي بالشرف ويسعى للمجد ويفخر بالفضائل، وما كلُّ ذلك إلا من كرامته.

ودعت شريعة الله الإنسان إلى الحفاظ على كرامته وعلى كرامة الناس.

ففي الحفاظ على كرامته نهته عن عبادة غير الله وعن الذل للخلق وعن أن يذل لشهوة أو أن يمد يده للناس سؤالاً وإلحافاً، وعن أن يذل نفسه بتعرضه من البلاء لما لا يطيق.

ودعته بالمقابل إلى الحفاظ على كرامة الناس فحفظت حقوقه وحقوقهم ونهت عن الاعتداء على أموال الناس وأعراضِهم وأنفسِهم، ونهت السخرية أو الاستهزاء بالآخرين وعن سبهم وإهانتهم وعن تعذيبهم والاعتداء عليهم.

ومن صيحات الكرامة والإباء قول رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» وفي حديث آخر «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

وقصة الفزاري مع جبلة بن الأيهم هي قصة الكرامةِ الإنسانية التي أراقتها الجاهلية وحماها الإسلام.

بدا للأمير الغسَّاني جَبَلَة بن الأيهم أن يدخل الإسلام هو وذووه، وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة، ففرِح عمر بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة وأقام بها زمناً والفاروق يرعاه ويرحِّب به، ثمَّ بدا له أن يخرج إلى الحجِّ، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطئ إزارَه رجل من بني فَزارَة فحلَّه.

غضِب الأمير الغسَّاني لذلك –وهو حديث عهد بالإسلام– فلَطَمَه لطمةً قاسيةً هَشَمَت أنفه، وأسرع الفَزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ماحلَّ به، وأرسل الفاروق إلى جَبَلَة يدعوه إليه، ثمَّ سأله فأقرَّ بما حدث، فقال له عمر: ماذا دعاك يا جَبَلَة لأن تَظلِم أخاك هذا فتَهشم أنفه؟

فأجاب بأنَّه قد ترفَّق كثيراً بهذا البدوي، (وأنَّه لولا حرمة البيت الحرام لأخذتُ الذي فيه عيناه).

فقال له عمر: لقد أقررت، فإمَّا أن تُرضي الرَّجل وإمَّا أن أقتصَّ له منك.

وزادت دهشة جَبَلَة عندما قال لعمر: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا مَلِك؟ فأجابه عمر: إنَّ الإسلام قد سوَّى بينكما.

فقال الأمير الغسَّاني: لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعزَّ منِّي في الجاهلية.

فقال الفاروق: دَعْ عنك هذا، فإنَّك إن لم تُرْضِ الرَّجل اقتصصت له منك.

فاستمهل جَبَلَة سيِّدنا عمر ليلةً حتَّى يُبرم أمره، وكان أن هرب في تلك اللَّيلة إلى القسطنطينية وارتدَّ عن الإسلام.

وقد نظم شاعر القصة في قصيدة عمودية عَنونَها (الإزار الجريح) يذكر القصة فيها.

والحمد لله رب العالمين